سلسلة المقالات
المنهجية
(٣٥)

صفةُ الوَحْيِ لغيرِ الأنبياء بين المفهوم والدّلالة والإلهام

وَقَّعَهُ

الباحث الدكتور/عيد أبو السعود الكيَّال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيّ بعده ﷺ أما بعد:

فقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَۙ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: ١١٤]، وقال سبحانه أيضًا: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ [القصص: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]، وقال: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ٣٨]، وقال: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]، وقال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾ [النحل: ٦٨]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، بواسطة «المعجم المقدس لألفاظ القرآن الكريم» (ص ٧٤٦-٧٤٧) مادة وَحَيَ.

فهذه جملة من آيات القرآن الكريم تنوّعت فيها كلمةُ وحي ومشتقّاتها، بما يُظْهر اختلافَ المعنىٰ والفهم المقصود والدّلالات المختلفة، لمن أوحِيَ إليهم،

فَجَعَلْتُ هذه المقالة لبيان المراد وما يتصل بها من الفقه والمفاهيم التي تكشف هذه المعاني، وأبدأ بالمعنىٰ اللغوي في بيان الوحي ثم الشرعي، ثم بعد ذلك بيان معنىٰ الإلهام بالوَحْي:

• **قال الراغب الأصفهاني في «المفردات في غريب القرآن» (ص ٥١٦-٥١٧):**

«وَحَيَ: أصل الوحي: الإشارة السريعة ولتِضمُّن السُّرعة، قيل: أمرٌ وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام علىٰ سبيل الرّمز والتعريض، وقد يكون بصوت وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حُمل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ في زكريا: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، فقيل: رَمزٌ، وقيل: اعتبارٌ، وقيل: كَتْبٌ، وعلىٰ هذه الوجوه قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فذلك بالوسواس المُشار إليه بقوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، وبقوله ﷺ: «**وإنّ للشيطانِ لمّةً**» [رواه الترمذي في «صحيحه» (**٢٩٨٨**) وقال حديث حسن غريب، وقال ﷺ: «**أنّ للشيطان لمّةً بابن آدم ولِلْمَلَكِ لمّةً، فأمّا لمّةُ الشيطان: فإيعاذٌ بالشّر، وتكذيب بالحق، وأمّا لمّةُ المَلَكِ: فإيعاذٌ بالخيْر، وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من اللَّه، فليحمد اللَّه، ومن وجد الأخرىٰ؛ فلْيتعوَّذ من الشيطان الرَّجيم، ثم قرأ**: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ويقال للكلمة الإلهية وحيٌ وهي التي تُلْقَيَ إلىٰ أنبيائه وأوليائه، وذلك أضْرُبٌ، حسْبَما دلَّ عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وذلك إما برسول مُشاهَدٍ تُرَىٰ ذاتُهُ ويُسْمَعُ كلامُه، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صورة مُعيّنة [يعني: صورة إنسان مثلًا]، وإما

بسماع كلام من غير معاينة، كسماع موسىٰ عليه السلام كلامَ اللَّه، وإما بإلقاءٍ في الرُّوعِ، كما ذكر -عليه الصلاة والسلام- فقال: «**إنَّ روح القدس نَفَسَ في روعي**» [رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (**١٣٥٣**)، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (**٢٢٧٣**)، ونفث؛ أي: تفل بدون ريق، وروعي؛ أي: في خلدي وبالي أو في نفسي أو قلبي أو عقلي، من غير أن أسمعه ولا أراه، قاله المناوي في «فيض القدير» (٢/ ١١/ ٥)].

وإمَّا إلهامٌ نحو: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وإما بتسخير نحوُ قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أو بمنامٍ، كما قال -عليه الصلاة والسلام- «**انقطع الوحيُ وبقيتْ المُبشّراتُ رؤيا المؤمنِ، فالإلهامُ والتسْخيُر والمنامُ**» [رواه البخاري في «صحيحه» (**٦٩٩٠**) بلفظ قريب].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهذا الوحيُ هو عامٌ في جميع أنواعه» اهـ.

- **وقال ابن فارس في: «مقاييس اللغة» (٦/ ٩٣):**

«وَحَيَ: الواو والحاء والحرف المعتل (ي): أصل يدل علىٰ إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلىٰ غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلىٰ غيرك حتىٰ عَلِمَهُ فهو وحي كيف كان، وأوحىٰ اللَّه تعالىٰ وَوَحَىٰ، قال: وَحَىٰ لها القرارَ فاستقرّت.» اهـ

- **أما الوحي في الشرع:**

قال القرطبيّ في «الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ٢٢٤):

«والوحي في كلام العرب معناه الإلهام ويكون علىٰ أقسام: وحيٌ بمعنىٰ إرسال جبريل إلىٰ الرسل عليهم السلام، ووحي الإلهام كما في هذه الآية؛ أي ألْهَمْتُهُمْ وقَذَفْتُ في قلوبهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

وَوَحْيٌ بمعنىٰ الإعلام في اليقظة والمنام، قال أبو عبيدة: أوحيتُ بمعنىٰ: أَمَرْتُ، وقوله تعالىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، قال الزجاج:

وَحَىٰ لها القرار فاستقرت بإذْنِهِ الأرضُ وما تَعَتّتْ.

أي: أمرها بالقرار فاستقرّت، وقيل: قوله تعالىٰ: ﴿أَوْحَيْتُ﴾ هنا بمعنىٰ أمرتهم، وقيل: بَيّنْتُ لهم.» اهـ.

وكذلك قال: (١٠/ ٩٧):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]:

والوحي بمعنىٰ الإلهام، وهو ما يخلقه اللَّه تعالىٰ في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر، وهو من قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، ومن ذلك: البهائم وما يخلق اللَّه سبحانه فيها مِنْ دَرْكِ منافعها واجتناب مضارّها وتدبير معاشها، وقد أخبر ﷻ بذلك عن الموات فقال: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤-٥] قال إبراهيم الحَرْبيّ: للَّه ﷻ في الموات قدرة لم يُدْر ماهي؟ لم يأتها رسول من عند اللَّه، ولكن اللَّه تعالىٰ عرّفها ذلك؛ أي: ألهمها.

ولا خلاف بين المتأوّلين أنّ الوحي هنا بمعنىٰ الإلهام» اهـ.

قلت: والموات هنا المراد به الجامد كالأرض وكل جماد ولا روح فيه.

وكذلك قال: (٧/ ٤٩):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، هو عبارة عما يوسوس به شياطين الجن إلىٰ شياطين الإنس، وسُمِّيَ وَحْيًا؛ لأنه إنما يكون خفيةً، وجعل تمويههم زُخرُفًا لتزيينّهم إيَّاه، ومنه سُمِّي الذهب زخرفًا، وكل شيْء حسَنٍ مُمَوَّهٍ فهو زُخْرف، والمُزخْرَف: المُزيَّن، وزخارف الماء: طرائقه» اهـ.

وقال السَّعدي في: «تفسيره» (ص ٢٤٨):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [المائدة: ١١١]؛ أي: واذكر نعمتي عليك يا عيسىٰ عليه السلام إذْ يسّرت لك أتباعًا وأعْوانًا، فأوحيت إلىٰ الحواريين أي: ألهمتهم وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي؛ أي: أمرتهُم بالوحي الذي جاءك من عند اللَّه، فأجابوا لذلك واقادوا وقالوا: آمنّا باللَّه واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان» اهـ.

قلت: هذا ما كان من معاني الوحي وأقسامه وبيان المراد ومنه، وقد نقل القرطبيّ الإجماع علىٰ أنّ الوحي بمعنىٰ الإلهام، وهذا الذي جعلني أتكلم في دليل من أدلة الأحكام المختلف فيها، والتعرّض لبيانه وهو:

- **دلالة الإلهام وكونها دليلًا شرعيًّا من الأدلة المختلف فيها:**

ذكر الإمام الفقيه الأصولي في كتابه «البحر المحيط في أصول الفقه» (٦/ ١٠٣-١٠٦) تحت كتاب الأدلة المختلف فيها، فذكرتُ مُلخَّص ما قاله، قال:

«دلالة الإلهام:

ذكرها بعض الصوفية وقال: ما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام، أو الشّر فهو وسواس، قال: القفّال: ولو ثبتت العلوم بالإلهام، لم يكن للنظر معنىٰ، ولم يكن في شيْء من العالم دلالة ولا عبرة، وقد قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، فلو كانت المعارف إلهامًا، لم يكن لإرادة الأمارات وجه، ويُسْأل القائل بهذا عن دليله، فإن احتج بغير الإلهام فقد ناقض قوله، وإن احتج به أبطل بمن ادّعىٰ إلهامًا في إبطال الإلهام.

وحكىٰ الماوردي والرّوياني في باب القضاء في حجّية الإلهام خلافًا، وفرَّعَا

عليه: أن الإجماع هل يجوز انعقاده لا عن دليل؟ فإن قلنا لم يصح جعلُه دليلًا شرعيًّا جوّزنا الانعقاد لا عن دليل؟ وإلّا فلا.

قال الماورديّ: والقائل بانعقاده لا عن دليل هو قول من جعل الإلهام دليلًا.

قال الزركشي: قلت: وقد اخْتارَ جَمَاعةٌ من المتأخرين اعتماد الإلهام، منهم الإمام الجويني في: «تفسيره» في أدلّة القبلة، وابن الصلاح في: «فتاويه»، فقال: إلهامٌ خاطر حقٍّ من الحق، ومن علاماته: أن يُشرح له الصدرُ ولا يعارضه معارَضٌ مِنْ آخر.

وقال أبو عليّ في كتاب «التذكرة في أصول الدين»: ذهب بعض الصوفية إلىٰ أنّ المعارف تقع اضطرارا للعباد علىٰ سبيل الإلهام بحكم وَعْدِ اللَّه سبحانه وتعالىٰ بشرط التقوىٰ، واحتج بقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]؛ أي: تفرّقون بين الحق والباطل، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]؛ أي: مخرجًا علىٰ كلّ مَنِ التبس علىٰ النّاس وجهُ الحكم فيه، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهذه العلوم الدينية تَحْصُلُ للعباد؛ إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم للَّه تعالىٰ بترك المنهيّات وامتثال المأمورات؛ إذْ خبره سبحانه وتعالىٰ صدق، ووعده حق، فتزكية النفس بعد القلب لحصول المعارضة فيه بطريق الإلهام بحكم وعد اللَّه تعالىٰ.

وقال الإمام شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض أماليه مُحتجًّا علىٰ الإلهام بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨]، فهذا الوحي مُجرّد إلهام، ثم إنّ مِنَ الإلهام علومًا تحدث في النفوس الزكية المطمئنة، قال عليه السلام: «**إنّ من أمتي لمحدّثين ومتكلمين، وإنّ عمر لمنهم**» [رواه البخاري في «صحيحه»] **(٣٦٨٩)** بلفظ: «**لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمّتي منهم أحد فعمر**»، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾

[الشمس: ٧-٨]، فأخبر أن النفوس ملهمة، فالنفس الملهمة أَوُ نِّية، هي التي تبدّلت صفتها و أطمأنت بعد أن كانت أمَّارةً بالّسوء.

واحتج غيره من قوله ﷺ: «**قد كان في الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمّتي أحدٌ فَعمر**»، قال ابن وهَب: يعني: ملهمون. [ورواه مسلم كذلك في «صحيحه» (٢٣٩٨)]، **ولهذا قال صاحب**: «**نهاية الغريب**»: جاء في الحديث تفسيره أنهم الملهمون، والمُلْهَمُ: هو الذي يُلْقَي في نفسه الشيْء فَيُخْبَرُ به حَدْسًا وفَراسَةً، وهو نوعٌ يخص اللَّهُ به من يشاء من عبادة، كأنهم حُدِّثوا بشيْء قالوه، مثل عمر [«النهاية في غريب الحديث والأثر»(١/ ٣٣٨) لابن الأثير]، وأما قوله ﷺ: «**استفت قلبك وإن أفتاك الناس**» [رواه أحمد في «المسند» (١٨٠٢٨) (١٧٩٢٢)، (١٧٥٦٥) والترمذي (٢٣٨٩) وقال: حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٢١٨٢) وصححه و وافقه الذهبي، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٥٣)].

فذلك في الواقعة التي تتعارض فيها الشّبهُ والرِّيَبُ، قال الغزالي: واستفتاء القلب إنما هو حيث أباح الشيْء، أما حيث حَرَّم فيجب الامتناع، ثم لا يعوّل علىٰ كلّ قلب، فرُبّ مُوسْوَس ينفي كل شيْء، وربّ مُتَسَاهِل نظر إلىٰ كل شيْء، فلا اعتبار بهذين القلبين، وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفّ لدقائق الأحوال، فهو المحك الذي تُمتحن به حقائقُ الصور، وما أعزّ هذا القلب.

• **وقال البيهقي في**: «**شعب الإيمان**»: هذا محمول علىٰ أنّه يُعرف في شأنه من علم الغيب ما عَسَىٰ يحتاج إليه، أو يُحَدَّث علىٰ لسان ملك بشيْء من ذلك، كما ورد في بعض طريق الحديث [يعني: «**استفت قلبك**»] قال: «وكيف يحدَّث؟» قال: «**يتكلم المَلَكُ علىٰ لسانه**» [يعني: وحي وإلهام].

تنبيه: لا يخفىٰ أن المراد بهذا في غير الأنبياء عليهم السلام، وإلّا فمن جملة طرق الوحي: الإلهام» اهـ.

قلت: فكان مُجْمل المجوّزين للإلهام قيّدوه وضبطوه بأسبابٍ وشروط وعلل، وجعلوه الإلهام موانع، وأصْلها علىٰ صلاح الدين والقلب والنفس، وشرطوا لكل ذلك: العلم الشرعي النافع ومنعوا الجهَّال والمبتدعة من الولوغ في ذلك، لكونهم ليسوا أهلًا لذلك، بل ذلك زعْم وتخرُّصٌ وظن كاذب لا برهان عليه.

وقال القرطبي في: «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٥٤):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، «فألهمها» أي: عرّفها كذا عن مجاهد، وقال ابن عباس: عرفها طريق الفجور والتقوىٰ، وقال قتادة: عرّفها الطاعة والمعصية، وعن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أراد اللَّه ﷻ بعبده خيرًا ألهمه الخير فعمل به، وإذا أراد به السوء ألهمه الشّر فعمل به.

وقال الفرّاء: عرفها طريق الخير وطريق الشّر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وروىٰ الضحاك عن ابن عباس قال: ألهم المؤمن المتقي تقواه، وألهم الفاجر فجور.

وعن سعيد عن قتادة قال: بيّن لها فجورها وتقواها، والمعنىٰ متقارب.

ورُوِي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، قال: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليّها ومولاها**»،» اهـ. **قلت**: رواه مسلم في «صحيحه» (٧٣/ ٢٧٢٢).

● **وأورد الشوكاني في: «إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول» (٢/ ١٠١٦-١٠٢٠)، ما قال الزركشي في: «البحر المحيط» ملخّصًا، ولكن بدأ الرزكشي بكلام القفال، وختم به الشوكاني ثم أضاف فقال:**

«قال القفَّال: لو تثبتت العلوم بالإلهام لم يكن للنظر معنىٰ، ونَسْأل القائل بهذا عن دليله، فإن احتج بغير الإلهام فقد ناقض قوله. انتهىٰ

قال الشوكاني: ويجاب عن هذا الكلام: بأن مدّعي الإلهام لا يحصر الأدلة في الإلهام حتىٰ يكون استدلاله بغير الإلهام مناقضًا لقوله، نعم إن استدل علىٰ إثبات الإلهام كان في ذلك مصادرةً للمطلوب؛ لأنه استدل علىٰ محل النزاع بمحل النزاع.

دعوىٰ هذا الفرد لحصول الإلهام له صحيحة؟! وما الدليل علىٰ أنّ قلبه من القلوب التي ليست بموسوسة ولا بمتساهلة؟!» اهـ.

يعني هذا اعتراض من الشوكاني علىٰ حجيّة الإلهام.

قلت: قال النووي في: «شرح مسلم» (١٥/ ٥١٢) عند حديث (٢٣٩٨):

«قوله ﷺ: «**قد كان يكون في الأمم مُحَدَّثون**» قال ابن وهب: تفسير مُحَدَّثون: ملهمون، واختلف تفسير العلماء للمراد بالمحدَّثون، قيل: مُصيبُون، وإذا ظنّوا حدَّثوا بشيْء فظنوا، وقيل: تكلِمُهُم الملائكة، وجاء في رواية: «**متكلمون**»، وقال البخاري: يجري الصواب علىٰ ألسنتهم، وفيه إثبات كرامات الأولياء» اهـ.

قلت: قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وعليه، فالأولياء هم الممتثلون لأوامر اللَّه ورسوله، والمنتهون عما نهىٰ عنه اللَّه ورسوله، الواقفون عند حدود اللَّه، المتبعون لسنة رسول اللَّه، التاركون للبدع والمحدثات.

وقال القرطبيّ أبو العباس في: «المُفْهِمُ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٢٠٨-٢٠٩)، حديث (٢٣١٠):

«قوله ﷺ: «**مُحَدَّثون**» اسم مفعول، وقد فسّر ابن وهب المحدَّثين: ملهمين؛

أي: يُحدَّثون في ضمائرهم بأحاديث صحيحة، هي نوع من الغيب، فيظهر علىٰ نحو ما وقع لهم، وهذه كرامة يُكرم اللَّه تعالىٰ بها من يشاء من صالحي عباده، ومن هذا النوع ما يقال عليه: فراسة، كما قدْ رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور اللَّه**» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]» اهـ.

قلت: والحديث رواه الترمذيّ في «سننه» (**٣١٢٧**) وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (**١٥١**) وفصّل المناوي في: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ١٨٧) القول في الحديث، فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسنه، وذكر قول السيوطيّ أنَّ الحديث حسن صحيح عند الترمذي في أحد نسخ الترمذي.

وقال السخاوي في: «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهرة علىٰ الألسنة» حديث (٢٣):

«وكل طرقه ضعيفة، وفي بعضها ما هو متماسك لا يليق مع وجود الحكم علىٰ الحديث بالوضع؛ لاسيما وللبزار والطبراني وغيرهما كأبي نعيم في الطب بشد حسن عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إنّ للَّه عبادًا يَعْرِفون الناس بالتوسُّم» اهـ.

وتكلم المناوي في «فيض القدير» (١/ ١٨٥-١٨٧)، وفصل القول في فراسة عند المفسّرين ثم قال:

«فكانت الفراسة اختلاسَ المعارف، وذلك ضربان: ضرب يحصل عن خاطر لا يُعرف سببه وهو ضرب من الإلهام، بل من الوحي، وهو الذي يسُمَّي صاحبه المُحَدَّث كما في خبر: «إن يكن في هذه الأمة محدَّثُ فهو عمر»، وقد يكون بإلهام حال اليقظة أو المنام.

والثاني: يكون بصناعة متعلمَّة، وكان ذا فهم ثابت قوي علىٰ الفراسة» اهـ.

قلت: وكل ذلك نادر الحدوث، والقاعدة الفقهية: «الحكم للغالب ولا حكم للنادر»، ومن ثم فهذا لا يعوَّل عليه في أن يكون الإلهام دليلًا شرعيًّا، وإن حدث هذا عند السلف، فإنه قليل وليس كثير شائع، ولكن أقول:

قال القرطبيّ في: «جامعه» (١٠/ ٣٢):

«قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال ابن عباس «للمتوسمين»: لأهل الصلاح والخير.

وقال الحسن: المتوسِّمُون هم الذين يتوسّمون الأمور فيعلمون أنَّ الذي أهلك قوم لوط قادر علىٰ أن يُهلك الكفّار، فهذا من الدلائل الظاهرة» اهـ.

قلت: فإن التوسم نوع علم، فعلىٰ قول ابن عباس رضي الله عنه يكون الإلهام والتوسم لأهل الصلاح والخير من العلماء، فيقوىٰ القول بدلالة الإلهام وعدم تعطيلها بالكليّة.

ويتأكد ذلك: بما قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٥٧) حديث (٣٦٨٩):

«قوله ﷺ: «**مُحَدَّثون**» بفتح الدَّال جمع مُحَدَّث، واختُلف في تأويله: فقيل: مُلهم قاله الأكثرون، قالوا: هو الرجل الصّادق الظن، وهو من أُلْقي في رُوعه شيْء، مِنْ قِبَل الملأ الأعلىٰ، فيكون كالّذي حدَّثه غيرُهُ به، وبهذا جَزَمَ أبو أحمد العسكريّ، وقيل: من يجري الصواب علىٰ لسانه من غير قصد.

وقيل مُكَلَّم؛ أي: تُكلّمه الملائكة بغير نبوَّة؛ وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخُدْري مرفوعًا [إلىٰ النبي ﷺ]، ولفظه: «قيل يا رسول اللَّه وكيف يُحدَّث؟ قال: «تتكلم الملائكة علىٰ لسانه» رويناه في: «فوائد الجوهري»، وحكاه القابسيّ وآخرون، ويؤيده ما ثبت في الرِّواية المعلّقة [يعني المروية بدون سند].

ويحتمل ردُّه إلىٰ المعنىٰ الأوّل؛ أي: تكلمه في نفسه وإن لم ير مُكلِّمًا في

الحقيقة فيرجع إلىٰ الإلهام، وفسّره ابن التين بالتّفرُس.

ووقع في مسند الحُميْدِيّ عقب حديث عائشة: «المُحَدَّثُ المُلْهَمُ بالصواب الذي يُلْقىٰ علي فِيه».

وعند مسلم من رواية ابن وهب: «ملهمون وهي الإصابة بغير النبوّة».

[فائدة مهمة من كلام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبين المراد:]

قال ابن حجر: قوله ﷺ: «لقد كان فيمن قبلكم من نبي إسرائيل رجال يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن منكم أحد فعمر»، فقوله: **«وإن يكن منكم أحد»**، وفي رواية: **«في أمتي»**، قيل: لم يُورِدْ هذا القول مَوْرِد الترديد، فإنّ أمّته أفضلُ الأمم، وإذا ثبت أنّ ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أوْلىٰ، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرَجل: إن يكن لي صديق فإنّه فلان؛ يريد اختصاصه بكمال الصّداقة، لا ينفي الأصدقاء، ونحو قول الأجير: إن كنتُ عملتُ لك فوفّني حقّي، وكلاهما عالم بالعمل، لكن مراد القائل: أنّ تأجيرك حقّي عملُ مَنْ عنده شكٌ في كوني عَملْتُ.

وقيل: الحكمة فيه أنّ وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك: احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبيّ، واحتمل عنده أن لا تحتاج هذه الأمة إلىٰ ذلك؛ لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبيّ، وقد وقع الأمر كذلك، حتىٰ إنّ المحدَّث منهم إذا تحقق وجوده، فلا يحكم بما وقع له، بل لابد له من عرضه علىٰ القرآن، فإن وافقه أوْ وافق السنة عُمل به، وإلا تركه.

وهذا جائزًا أن يقع، لكنّه مِمَّن يكون من أمره منهم مبْنيًّا علىٰ اتباع الكتاب والسّنة، وتمخّضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف الأمة بوجود أمثالهم فيه.

وقد تكون الحكمة في تكثيرهم: مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم،

فلمّا فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيّها خاتم الأنبياء عُوِّضُوا بكثرة الملهمين» اهـ.

قلت: وفي كلام ابن حجر هذا تعضيد لدلالة الإلهام بصفاتها وضوابطها، لاسيما مع ورود الأدلة من القرآن والسنة علىٰ ذلك، كما ذكرتها آنفًا من: «البحر المحيط»، وما ذكرته بعده من الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما.

- **خلاصة القول في دلالة الإلهام كدليل من أدلة الأحكام:**

فإذا كان ذلك كذلك وتقرر عندك ما مضىٰ بيانه بدليله وكلام أهل العلم أقول:

- قد بدأت مقالتي هذه بكلمة الوحي لغة وشرعًا، وبيّنت صور الوحي وأقسامه، وما كان من الوحي الأم والرئيس، وهو الوحي إلىٰ الأنبياء والمرسلين، ثم كان الوحي إلىٰ غير الأنبياء، كما كان مع أم موسىٰ، وما أوحي إلىٰ زكريا عليه الصلام إلىٰ قومه، ووحي اللَّه إلىٰ الحواريين الذين مع عيسىٰ عليه السلام، والوحي إلىٰ النحل وإلىٰ الأرض، ووحي الشياطين من الجن إلىٰ شياطين الإنس، وفصّلت المعنىٰ في ذلك كله والاختلاف والتباين بينهما، فهناك وحي قائم علىٰ صلاح الدين والتقوىٰ، ووحي شيطاني هو زخرف من القول وغرورٌ.

- **وأجْمَل ابن فارس معنىٰ الوحي فقال**: «أصل يدل علىٰ علم في إخفاء، أو غيره إلىٰ غيرك، وكل ما ألقيته إلىٰ غيرك حتىٰ عَلِمَهُ فهو وحي كيف كان» اهـ.

- وبيَّن أهل العلم أن الوحي في كلام العرب معناه الإلهام، وكذلك معناه: إلقاء الإيمان في القلوب؛ لصلاح دينهم وخلوصه للَّه، فيدخل نور القرآن والسنة وفهمها في قلوبهم، فيُلْهَمُ صاحبُها الخير والفلاح والوعي والإدراك وصحة الفقه والتصوّر.

- ومن الوحي مع البهائم وهو تدبير معاشهم وأمورهم التي بها تنصلح لهم دنياهم، وهذا أيضًا إلهام، شارك اللَّه فيه كل مخلوق في الدارين ليس بإنسان،

سواء الأرواح أو الجمادات.

• أما وحي الشياطين فهو زخرفة وتزيين بالباطل والضلال وصدٌّ عن سبيل اللَّه بالغش والكذب والخداع، ففرق جليل بين الإلهامين، ويدخل في ذلك مدّعي الإلهام المبتدع والجاهل.

• ولما نقل القرطبي الإجماع علىٰ الوحي بمعنىٰ الإلهام، ربطت ذلك بما ذكره الأصوليون في كتاب الأدلة المختلف فيها وهي: «**دلالة الإلهام**» ففصّلت القول في ذلك، وبيان الاختلاف في حجّية هذا الدلالة؛ لأنه لا إجماع عليها، بل ضعفها بعضهم وقوَّاها آخرون.

• **فعمدت إلىٰ بيان الدليل المُضَعِّف والمُقوّي، فظهر بذلك الآتي:**

أما من ضعّف: فيظهر في قول القفال: «لو ثبتت العوم بالإلهام لم يكن للنظر معنًىٰ، ولم يكن في شيْء من العالم دلالة ولا غيره، وقد قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، فلو كانت المعارف إلهامًا لم يكن لإرادة الآيات وجه».

ووجه الكلام: أن الأدلة الشرعية التي عليها تقوم الأحكام هي الكتاب والسنة والإجماع وغيرها من الأدلة الصحيحة كالقياس الجليّ، أما الإلهام فهو أمر خفيّ لا ضابط له، فيدخل في الظنون، ولا تثبت الفروض والواجبات إلا باليقين، فلو تركنا الأدلة اليقينيّة واعتبرنا الإلهام فقد أعرضنا عما أُمِرْنا به، فقد قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وغيرها من الآيات والأدلة، وفي ذلك مغامرة ومقامرة بشرع اللَّه، فكان كلام القفال قويّ في المسألة، لأن القول بالإلهام فتح باب لشر جسيم عظيم مُسْتطير، والذي قاله ابن حجر آنفًا: «أنه لا تحتاج الأمة إلىٰ ذلك باستغنائهم بالقرآن، ولو حدث فلابد من عرضه علىٰ القرآن».

● **أم قول المؤيّدين لحجّية الإلهام، فأدلتهم كما مرَّ كثيرة:**

فمنها: أن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، فكلّها يقرر أن بالتقوىٰ يكون معك الفيصل والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والسنة والبدعة، وتُجعل بالتقوىٰ المخارج من كل ما ضاق علىٰ الناس صغيرهِ وكبيره، وهذه أدلة كلية عليها مدار هذا الدين ومقاصده.

ومنها: حديث البخاري ومسلم: «**قد كان في الأمم مُحَدَّثون**» الحديث، وما قاله ابن حجر في: «فتح الباري» شارحًا لهذا الحديث، وفيه قال: سبب كثرة الملهمين بعد موت النبيّ ﷺ: «وتمخّضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم: مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء، فلما فات الأمة كثرة الأنبياء فيها، لكون نبيّها خاتم الأنبياء عُوّضوا بكثرة الملهمين» اهـ.

فجعل ابن حجر -علىٰ ضوء هذا الحديث- أنّ دلالة الإلهام من هؤلاء المؤمنين العلماء المتقين مَنْقَبَةٌ وشرف لأمة الإسلام، وإن هذه الدّلالة لها أصل من الكتاب والسّنة ومن الأدلة: قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وغالب السلف في تفسير الآيتين: عرَّفها طريق الفجور والتقوىٰ وإلهام الفاجر فجوره، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠].

وذلك مع حديث مسلم الذي دعا به فقال بعد قراءة الآيتين: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها**».

فهذا الدليل فيه حُجِّيَّةُ الإلهام القائم علىٰ التقوىٰ، والمؤدّي إلىٰ الفرقان المأمول، والتفريق بين الحلال والحرام، وما يجوز وما لا يجوز، وهذا يكون

أولىٰ مع العلماء الربّانيين، فيكون هذا لخاصة الناس لا لعوامّهم الذين لا علم لهم ولا فقه، فتكون هذه الحجّية خاصة علىٰ أهل الحل والعقد، فهو عموم مخصوص.

ومنها: الحديث الحسن بمجموع طرقه -كما مرّ آنفًا-: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه**».

وقد فسّر أهل العلم الفراسة بأنها ضرب من الإلهام ووحي، واستشهدوا عليها بحديث: «**وإن يكن في هذه الأمة مُحَدَّث**».

● وفي هذا الحديث أن رسول اللَّه ﷺ قرأ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «لأهل الخير والصلاح»، قلت علىٰ رأسهم العلماء الربَّانيّون.

وعلىٰ ضوء ما تقدم ذكره، فإن احتجاجنا بدلالة الإلهام إنمّا هي لمن آتاه اللَّه العلم، **ويؤكد ذلك كلام ابن حجر -كما مرّ- حيث قال**:

«وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل [يعني: الملهمين] كان قد تحقق وقوعه؛ وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبيّ، واحتمل عنده أن لا تحتاج هذه الأمة لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبيّ، وقد وقع الأمر كذلك، حتىٰ إنّ المحدث منهم إذا تحقق وجوده، فلا حكم بما وقع له، بل لابدّ من عرضه علىٰ القرآن؛ فإن وافقه أوْ وافق السّنة عُمل به، وإلا تركه» اهـ.

● وهذا الكلام يعتبر ضابطًا في تقييد حجّية الإلهام؛ لاسيما لو ذكرنا في هذا السياق حديث البخاري (٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢٠) قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم علىٰ ذلك**».

فهؤلاء هم المِصْفاةُ التي يتميَّز بهم الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال،

وبهم لا يُطلق العنان لكل من ليس أهلًا للتكلم في دين اللَّه ولو كثر ورعه وتقواه وصلح دينه، وإنما صلاح الدين بصلاح العلم وتنقيته ممّا خالف الكتاب والسنة.

• فإذا كان ذلك كذلك، فإن القول في دلالة الإلهام واقعة موقعها بين الإفراط والتفريط، فهي حجّة علىٰ سبيل التوسّط والحاجة، كما في القاعدة الكلية: «**الحاجة تنزل منزلة للضرورة عامة كانت أو خاصّة**».

فلا نقول بقول الصوفية الذين ينادون ويصيحون ويبالغون ويتعمقون في الإلهام حتىٰ يقول بعضهم: «حدّثني قلبي عن ربّي»، وهذا الذي قال فيه القفَّال: «لو ثبتت العلوم بالإلهام لم يكن للنظر معنًىٰ، ولم يكن شيْء من العالم دلالة ولا عبرة» اهـ.

وهذا هو الذي تنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة، ولذلك استدلوا بحديث: «**استفت قلبك**»، وبحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن**» فأخذوا ظواهر النصوص بدون دراية ولا فقه ولا فهم ولا وعي ولا إدراك ولا تصور ولا صحة استنباط، بل بجهل وهوىٰ وقلّة استيعاب لمقاصد الشريعة وفساد التوحيد والمعتقد والتجرّؤ علىٰ الكتاب والسنة بدون علم.

فالوسطية في دلالة الإلهام تكون بشروط علل وأسباب وموانع علىٰ وفق ما كان في الأحكام الوضعية.

• **والأصل كما قال أهل السنّة**: أنّ الدّين كتاب وسنة وما تفرع منهما فحسب، فلما أوْجَدَ أهل العلم أدلة علىٰ الإلهام قلنا بها، مع بيان ضابط هذه الدلالة وعرضها علىٰ الكتاب والسنّة، وكيفية الردّ علىٰ من بالغ فيها بدون علم، وكما ظهر من البحث والمقالة، فإن نتاج هذه الدلالة يتم عرضها علىٰ النصوص الشرعية وأدلة الأحكام؛ لبيان الحق من الباطل والهدىٰ من الضلال، وقد فصّلت القول في مقالة سابقة وهي: «**دلالة الاقتران**»، وبيان الاختلاف فيها، ورجّحت

بالدليل ضعفها، ولا يسعنا إلا الدليل رواية ودراية.

ولمَّا وجدت دلالة الإلهام قائمة علىٰ التقوىٰ الشرعية العلمية بأدلتها من الكتاب والسّنة، ولو كان يفعلها المبتدعة والجهلاء، فالإنصاف يدفعنا دفعًا ويؤزّنا أزًّا إلىٰ بيان صفتها ودلالاتها، ولا يمنعنا أهلُ الأهواء أن نقول لا تجوز؛ سدًّا للذريعة، بل لا ينبغي علينا إلا التوضيح والتفهيم والتعليم، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٧):

«قال ابن عباس، والسّدّي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك ومُقاتل بن حَيَّان: ﴿فُرْقَانًا﴾ مخرجًا، زاد مجاهد: في الدنيا والآخرة، وفي رواية لابن عباس: نجاة ونصرًا، وقال ابن إسحاق: ﴿فُرْقَانًا﴾ فيصلًا بين الحق والباطل، وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم ممَّا تقدم وقد يستلزم ذلك كله، فإنَّ من اتقىٰ اللَّه بفعل وترك زواجره، وُفِّق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة» اهـ.

قلت: ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال القرطبيّ في: «جامعه» (٣):

«وعد من اللَّه أنّ من اتقاه علّمه؛ أي: يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يُلقَىٰ إليه، وقد يجعل في قلبه ابتداء فرقانًا، أي فيصلًا بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، واللَّه أعلم» اهـ.

قلت: وبالجمع والربط والنسج بين هاتين الآيتين أتْمِمُ بيان دلالة الإلهام التي يفتح اللَّه بها علىٰ من يشاء من العلماء الرَّبانيين كدليل من أدلة الأحكام، كالمصلحة المرسلة، وسد الذرائع، وشرع من قبلنا ما لم يخالف شرعنا،

والاستصحاب، ومن اللَّه الصواب، ثم بقي من هذه المقالة نقلًا مهّمًا لشيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه ابن القيم علىٰ ضوء الآيتين السابقتين مع شرحها لاكتمال منظومة البحث فأقول:

● **قول شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه ابن القيم في المسألة ومراتب ذلك:**

قال شيخ الإسلام في: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٤٥-٤٦):

«ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلىٰ نبيّ آخر وكتاب آخر فضلًا عن أن تحتاج إلىٰ شيْء لا يستقل بنفسه غيره، سواء كان من علم المحدَّثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزّل من السماء، ولهذا قال النبيّ ﷺ: «**إنه كان في الأمم قبلكم محدَّثون**» الحديث، فعلّق ذلك تعليقًا في أمّته مع حزمه فيمن تقدم؛ لأن الأمم قبلنا كانوا مُحتاجين إلىٰ المحدَّثين كما كانوا مُحتاجين إلىٰ نبي بعد نبي [يعني من بني إسرائيل]، وأما أمة محمد ﷺ؛ فأغناهم اللَّه برسولهم وكتابهم عن كلّ ما سواه، حتىٰ إن كان المحدَّث منهم -كعمر بن الخطاب رضي الله عنه- إنّما يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة، إذا حُدِّث شيئًا من قلبه، لم يكن له أن يقبله حتىٰ يعرضه علىٰ الكتاب والسّنة، وكذلك لا يقبله إلا إنْ وافق الكتاب والسنة» اهـ.

قلت: وهذا ما ذكره ابن حجره في «فتح الباري» كما مرَّ في هذا البحث.

● **وتكلم ابن القيم الإمام في «مدارج السالكين» (١/ ٣٧-٥٢)**، فذكر فصل: في مراتب الهداية الخاصة والعامة وهي عشر مراتب: الأولىٰ: مرتبة تكليم اللَّه ﷻ لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه، وهذه أعلىٰ مراتبه، كما كلم موسىٰ بن عمران، قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، فقال بعد ذلك: «وهذا يدل علىٰ أنّ التكليم الذي حصل له أخصّ من مطلق الوحي، ثم أكده

بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر «كلّم»، وهو: «التكليم» رفعًا لما يتوهّمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنّه إلهام وإشارة، أو تعريف للمعنىٰ النّفسيّ بشيْ غير التكليم، فأكده بالمصدر المُفيد تحقيق النّسْبَة ورفع توهم المجاز» اهـ.

• ثم ذكر المرتبة الثانية وهي مرتبة الوحي المختص بالأنبياء كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، فجعل الوحي في هـذه، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورىٰ: ٥١]، قسمًا من أقسام التكليم، وهو قسم من أقسام التكلم العام، الذي هو إيصال المعنىٰ بطرق متعددة، ثم المرتبة الثالثة وهي: إرسال الرسول الملكيّ إلىٰ الرسول البشرى فيوحىٰ إليه ما أمره أن يُوصله إليه، وهذه المراتب خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم ثم المرتبة الرابعة وهي التحديث **فقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك ذكر حديث عمر:**

«وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلّق وجودهم في هذه الأمة ب «إنّ» الشرطية، مع أنها أفضل الأمم؛ لاحْتياج الأمم قبلنا إلهم؛ واستغناءِ هذه الأمة عنهم بكمال نبيّها ورسالته، فلم يُحْوِج اللَّه الأمة بعده إلىٰ مُحَدَّث أو ملهم ولا صاحب كشف ولا منام؛ فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها [قلت: كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، قال: والمحدَّث هو الذي يُحَدَّث في سِرّه وقلبه بالشيْء، فيكون كما يحدَّث به]».

قال شيخ الإسلام: وأمَّا مَا يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: «**حدثني قلبي عن ربّي**» فصحيح أنّ قلبه حدّثه، ولكن عمَّن؟! عن شيطانه أو عن ربّه؟! فإذا قال «حدثني قلبي عن ربّي» كان مُسْنِدًا الحديث إلىٰ من لم يعلم أنّه

حدّثه به، وذلك كذب، ومحدَّث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوّه به يومًا من الدّهر، وقد أعاذه اللَّه أن يقول ذلك بل كتب كتابه يومًا فقال: «وهذا ما رأىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب فقال: «لا، أمْحُهُ واكتب: هذا ما رأىٰ عمر بن الخطاب، المحدَّث بشهادة الرسول ﷺ، وأنت ترىٰ الاتحاديّ والحلوليّ والإباحيّ الشطّاح والسّماعيّ مُجَاهر بالقِحة والفرْيَة يقول: «حدّثني قلبي عن ربّي» فانظر إلىٰ ما بين القائِلَيْن والمَرتبَتَيْن والقولَيْن والحاكيْن، وأعْطِ كلَّ ذي حق حقّه، ولا تجعل الزّغل والخالص شيئًا واحدًا» اهـ.

قلت: هذا هو حال الضّال المُضل صاحب الصلاة اليُسْرية الذي يشرّع للناس من وحي شياطين الجنّ التي يلقّنَها ويُعَلِّمَها للناس لتعلموا حاله وأنّه شيطان أنسي.

• **ثم ذكر الإمام ابن القيم المرتبة الخامسة وهي الإفهام فقال:**

«وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما: «**والفهمَ الفهمَ فيما أُدْلي إليك**» فالفهمُ نعمةُ اللَّه مِنَ اللَّهِ علىٰ عبده، ونَوُرُه يقذف اللَّه في قلبه، يعرف به ويُدْرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه، فيفهم من النّص ما لا يفهمه غيره، فالفهم عن اللَّه ورسوله عنوانُ الصدّيقية ومنشورُ الولاية النبوية وفيه تتفاوت مراتب العلماء» اهـ. واستشهد بقوله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ثم ذكر المرتبة السادسة وهي البيان العام وهو: تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلّتِهِ وشواهده وأعلامه، وهذه المرتبة حجة اللَّه علىٰ خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

ثم ذكر المرتبة السابعة وهي البيان الخاص، وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخِذْلان وموادّها عن القلب قلا تختلف عنه الهداية ألبتّة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ

أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

ثم ذكر المرتبة الثامنة: مرتبة الإسماع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قال ابن القيم:

«وهذا الإسماع أخص الحجة والتبليغ، فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجّة عليهم، لكن ذاك إسماع الأذن وهذا إسماع القلوب، فإن الكلام له لفظ ومعنىٰ، وله نسبة إلىٰ الأذن والقلب وتعلق بهما، فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه و مقصوده حظ القلب، فإن اللَّه سبحانه نفىٰ عَنِ الضلال سَمَاعَ المقصودِ والمرادِ الذي هو حظُ القلب، وأثبت لهم الألفاظ الذي هو حظ الأذن كما قال تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢-٣]، ثم ذكر المرتبة التاسعة وهي مرتبة الإلهام والعاشرة الهداية: فقال في الإلهام: قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وقال النبي ﷺ لحُصين بن مُنذر الخُزاعي لما أسلم أن يقول: «**اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**» [رواه أحمد في «المسند» (**١٩٩٩٢**) والترمذي في «سننه» (**٣٤٨٣**)، وقال: حديث حسن»]

والحَديث أخص من الإلهام، فإنَّ الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكلّ مؤمن فقد ألهمه اللَّه رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث: إلهام خاص كما في حديث عمر، وهو الوحي إلىٰ غير الأنبياء، إمّا من المكلّفين كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١].

وأما الفراسة ربما وقعت نادرة، والنادُر لا حكم له، والإلهام لا يكون إلّا في مقام عتيد، والإلهام موهبة مجّردة لا تُنال بكسبِ ألبتّة؟» اهـ.

ثم ذكر ابن القيم حديثًا أختم به هذه المقالة؛ حيث قال في الإلهام: الحديث الذي رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٤٥) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولا أعرف له علة، ووافقه الذهبي، وأحمد في «المسند» (١٧٥٦٦) وحسنه الترمذي في «الترغيب والترهيب» (٣٤٧٤) من حديث النوّاس بن سمعان الأنصاري عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ضرب اللَّه مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلىٰ جَنَبَتَيْ الصراط سواران فيهما أبواب مفتّحة، وعلىٰ الأبواب ستور مرخاة، وعلىٰ باب الصراط داع يقول: يا أيّها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوجّوا، وداع يدعوا من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه، فإنّك إنْ تفتحه تَلِجْه، والصراط الإسلام والسّوران حدود اللَّه، والأبواب المفتّحة محارمُ اللَّه، وذلك الدَّاعي علىٰ رأس الصراط كتاب اللَّه ﷻ، والدَّاعي فوق الصراط واعظ اللَّه في قلب كل مسلم**».

قلت: فإذا ربطت هذا الحديث بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، حدث لك بإذن اللَّه الفهم المراد والمقصود المأمول من هذه المقالة، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل، ولا حول ولا قوة إلّا باللَّه وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبينّا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين.

وقَّعَهُ

الباحث الشرعيِّ الدكتور/ عيد أبو السّعود الكيَّال